البعلبكيه ، تأليف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن
عبد الله بن ابى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشقى
الحنبلى ، أبو العباس ، تقى الدين ابن تيمية (٦٦١-
٧٢٨ هـ) . كتبت في القرن ١٣ هـ تقديرا .

٢٠ ق ٢١ س ٢٤٫٥ × ١٦ سم
نسخة حسنة مجدولة بالحمرة خطها نسخ حسن
الازهرية ٣ : ٢٠٢ ، الاعلام ١ : ١٤٠-١٤١
١- اصول الدين أ- ابن تيمية ، احمد بن عبد
الحليم ٧٢٨ هـ ب- تاريخ النسخ .

هذا كتاب البعلبكية من مصنفات الامام
الهمام العالم العامل المفتي الفرق تقي الدين
مؤيد سنة سيد المرسلين ابي
العباس احمد بن تيمية الحراني
رضي الله عنه ونفعنا
بعلومه آمين

م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم حجة الاسلام بركة الانام
ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه **فصل** في
بيان ان القرآن كلام الله ليس شيء منه كلاما لغيره لا لجبريل
ولا لمحمد ولا لغيرهما **قال الله تعالى** فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين
هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس
من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين

ولقد

ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اهـ **فامره** ان يقول نزله
روح القدس من ربك بالحق فان الضمير في قوله قل نزله
عائد على ما في قوله بما ينزل والمراد به القرآن كما يدل عليه
سياق الكلام وقوله والله اعلم بما ينزل فيه اخبار الله
بانه انزله لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح القدس
نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد
مقيدا بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال
من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب
ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا
فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من
رؤس الجبال كقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك
فقوله نزله روح القدس من ربك بيان لنزول جبريل
به من الله فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله
من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
وهو الروح الامين في قوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل
به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وفي قوله
الامين دلالة على انه مؤتمن على ما ارسل به لا يزيد فيه
ولا ينقص منه فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما
قال في صفته في الآية الاخرى انه لقول رسول كريم ذي

قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وفى قوله
منزل من ربك دلالة على امور منها بطلان قول من يقول
انه كلام مخلوق خلقه فى جسم من الاجسام المخلوقة كما هو قول
الجهمية الذين قالوا بخلق القران من المعتزلة والنجارية والض ارية
وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال
ان القران مخلوق وان الله لا يرى فى الاخرة جهميا فان
جهما اول من ظهرت عنه بدعة نفى الاسماء والصفات وبالغ
فى ذلك فله فى هذه البدعة مزية المبالغة فى النفى والابتداء
بكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جعد سبقه
الى بعض ذلك فان الجعد بن درهم اول من احدث ذلك فى
الاسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط يوم النحر
وقال يا ايها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد
ابن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم
موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل
فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك
فهم يخالفونه فى مسائل غير ذلك كمسائل الايمان والقدر
وبعض مسائل الصفات ايضا ولا يبالغون فى النفى مبالغته
وجهم يقول ان الله لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز واما
المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم فى المعنى هو قول
جهم وجهم ينفى الاسماء ايضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم
من الفلاسفة واما جمهور المعتزلة فلا ينفون الاسماء والمقصود

ان قوله منزل من ربك بالحق فيه بيان انه منزل من الله لا من
مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدا اى هو الذى
تكلم به لم يبتدئ من غيره كما قالت الخلقية ومنها ان
قوله منزل من ربك فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس
النبى صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال او غيره كما يقول
ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول اعظم
كفرا وضلالا من الذى قبله ومنها ان هذه الاية ايضا
تبطل قول من يقول ان القران العربى ليس منزلا من الله بل
مخلوق اما فى جبريل او محمد او جسم اخر غيرهما كما تقول
ذلك الكلابية والاشعرية الذين يقولون القران العربى
ليس هو كلام الله وانما كلامه المعنى القائم بذاته والقران
العربى خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق فى
بعض الاجسام الهواء او غيره او الهمه جبريل فعبر عنه بالقران
العربى او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره فهذه
الاقوال التى تقال تفريعا على هذا القول فان هذا القران
العربى لا بد له من متكلم تكلم به اولا قبل ان يصل الينا وهذا
القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم فى اثبات خلق القران العربى
وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين احدهما
ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء لا يقولون
انه كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازا وهذا قول ائمتهم
وجمهورهم وقالت طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام

قوله وانما كلامه المعنى القائم بذاته
فيه نظر اذ الاشعرية لا يقولون انه لو كان كلامه
الحق الالفاظ المعروفة لكانت
الله هى الالفاظ قديمة ضرورة عدم
تلك الالفاظ فى الحادث وليس
انما فرض بالعرض تنقضى بحدث
اذ الالفاظ العربية سلم الانصف
النطق كما تقرر وليس فى قراءة قارئ
لحادث بالقديم فى كلام
مثلا وهذا المحال ولكان كلام
الله تعالى يحمل على الابدى ويدخل
مواضع القاذورات وتعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا فليتامل اهل
السنة اه كاتبه

يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض
اصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا
لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة
مع قولهم انه كلامه حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا
حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة اقرب
وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى
يوافقون هؤلاء وانما ينازعونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء
يقولون ان لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية
يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية
خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور الناس يقولون ان
اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاما له حقيقة
غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الامر والنهي
والخبر ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية
كان توراة وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ومنهم
من قال هو خمس معان وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا
معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون
لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق
كما في مخبر الاخبار المتواترة واما مع التواطؤ فقد يتفقون
على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان
لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولم يفهم حقيقة القول الذي
يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله ولحبه لنصر ذلك القول

كما

كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات
يعلم فسادها بالضرورة وقال جمهور العقلاء نحن اذا
عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معاني
هذا ليست هذا وكذلك معنى قل هو الله احد ليس هو معنى
تبت يدا ابي لهب ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين وقالوا
اذا جوزتم ان يكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا
ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة
فاعترف ائمة هذا القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه
جواب عقلي ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت
لها قائل بالتعدد واما ناف لها واما اثباتها واتحادها
فخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي ابي بكر وابي المعالي
وغيرهما ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كابي
الحسن الآمدي وغيره والمقصود هنا ان هذه الآية تبين
بطلان هذا القول كما تبين بطلان غيره فان قوله قد نزله
روح القدس من ربك بالحق يقتضي نزول القرآن من ربه
والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه بدليل قوله فاذا
قرأت القرآن وانما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة
وايضا فضمير المفعول في قوله نزله عائد الى ما في قوله والله
اعلم بما ينزل فالذي انزله الله هو الذي نزله روح القدس
فاذا كان روح القدس نزله بالقرآن العربي لزم ان
يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من عين من

الاعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه ايضا فانه قال عقيب هذه
الاية ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين وهم كانوا يقولون انما يعلمه
هذا القرآن العربي بشر لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه
فقط بدليل قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين فانه تعالى ابطل قول الكفار بان لسان الذي
الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذي
يعلم محمدا القرآن لسان اعجمي والقرآن لسان عربي مبين
وعبر عن هذا المعنى بلفظ يلحدون لما تضمن من معنى ميلهم
عن الحق وميلهم الى هذا الذي اضافوا اليه القرآن فان
لفظ الالحاد يقتضي ميلا عن شيء الى شيء فلو كان الكفار
قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم فان الانسان
قد يتعلم من الاعجمي شيئا بلغة ذلك الاعجمي ويعبر عنه
هو بعبارته وقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولو ن
هو تعلمه من شخص كان بمكة اعجمي قيل انه كان مولى
لابن الحضرمي واذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به
روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك اعجمي
وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان
العربي المبين وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح
القدس واذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه
لم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذي هو اللسان

العربي المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه ونظير
هذه الاية قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن الى قوله فذرهم وما يفترون وكذ لك
قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن
من الممترين والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة
والاتفاق فان الكلابية او بعضهم يفرق بين كلام الله
وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات
وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو مخلوق
والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمى نفس
مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى
الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وقال تعالى طسم
تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وقال واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله قالوا يا قومنا انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فبين ان الذي سمعوه
هو القرآن وهو الكتاب وقال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال يتلو صحفا
مطهرة فيها كتب قيمة وقال والطور وكتاب مسطور في
رق منشور وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم ولكن لفظ الكتاب يراد به المكتوب فيكو ن
هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال انه لقرآن كريم

في كتاب مكنون وقال ونخرج له يوم القيامة كتابا
يلقاه منشورا والمقصود هنا ان قوله وهو الذى انزل اليكم
الكتاب مفصلا يتنا ولنزول القرآن العربي على كل قول وقد
اخبران الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون
ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقولونه والعلم لا يكون الا حقا
مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذى ينقسم الى
حق وباطل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله لا من الهوى
ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا
غيرهما واذا كان اهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر
بذلك من هذه الامة كان اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا
منه من هذا الوجه وهذا لا ينافى ما جاء عن ابن عباس وغيره
من السلف فى تفسير قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر
انه انزله الى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك
منجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافى انه مكتوب فى اللوح
المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح
محفوظ وقال تعالى انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه
الا المطهرون وقال تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى
صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة
وقال تعالى وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم فان كونه
مكتوبا فى اللوح المحفوظ وفى صحف مطهرة بايدى الملائكة

لاينافى

قبل صح

لاينافى ان يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل ان
يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا
الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله
قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون
لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه وتعالى قد قدر مقادير
الخلائق وكتب اعمال العباد قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك
بالكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يامر الملائكة بكتابتها
بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود
والكتابة المتاخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا
قال ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فاذا كان
ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف يستبعد
ان يكتب كلامه الذى يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم به
ومن قال ان جبريل اخذ القرآن عن الكتاب لم يسمعه من
الله كان هذا باطلا من وجوه منها ان الله سبحانه وتعالى
كتب التوراة لموسى بيده فبنو اسرائيل اخذوا كلام الله من
الكتاب الذى كتبه هو سبحانه فيه فان كان محمد اخذه عن جبريل
وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلا من محمد بدرجة
وهكذا من قال انه القى الى جبريل معانى وان جبريل عبر عنها
بالكلام العربي فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهمه الهاما
وهذا الالهام يكون لاحاد المؤمنين كما قال تعالى واذ اوحيت
الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى وقال واوحينا الى ام موسى

دير

قوله كان بنو اسرائيل اعلا فقد يقال
انه لا دلالة كذلك تخفى على ان جبريل
نزل به من الله فلينظر ما الجواب
ولينا مل اه

ان ارضيه وقد اوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحى
الذى يكون لآحاد الانبياء والمؤمنين اعلى من اخذ محمد
القرآن عن جبريل لان جبريل الذى علمه لمحمد هو بمنزلة
الواحد من هؤلاء **وايضا** فالله تعالى يقول انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط الى قوله وكلم
الله موسى تكليما ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى
اليه فهذا يدل على امور **على** ان الله تعالى يكلم عباده تكليما
زائدا على الوحى الذى هو قسيم التكليم الخاص فان لفظ التكليم
والوحى كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم العام
هو المقسوم فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فالتكليم المطلق هو قسيم الوحى
الخاص ليس قسما منه وكذلك لفظ الوحى قد يكون عاما
فيدخل فيه التكلم الخاص كما فى قوله تعالى لموسى فاستمع لما
يوحى وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما فى سورة الشورى
وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات
فانه حينئذ لا فرق بين التكلم الذى خص به موسى والوحى
العام الذى يكون لآحاد العباد **ومثل** هذا قوله فى الآية
الاخرى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فانه فرق بين
الايحاء وبين التكلم من وراء حجاب وبين ارسال رسول

فيوحى

٦

فيوحى باذنه ما يشاء فدل على ان التكلم من وراء حجاب
كما كلم موسى امر غير الايحاء وايضا فقوله تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم وقوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم وقوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم وامثال ذلك
يدل على انه منزل من الله لا من غيره **وكذلك قوله تعالى** بلغ
ما انزل اليك من ربك فانه يدل على اثبات ما انزل
اليه من ربه وانه مأمور بتبليغ ذلك **وايضا** فهم يقولون
انه معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع
جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض
قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان
ما سمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم
علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع امره
فيلزم ان يكون كل واحد ممن كلمه الله تعالى او انزل عليه شيئا
من كلامه عالما بجميع اخبار الله واوامره وهذا معلوم
الفساد بالضرورة وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه
فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم **وايضا** فقوله
وكلم الله موسى تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه
ربه وقوله وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا
وقوله فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى
الآيات دليل على تكلم سمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرو

ره

ومن قال انه يسمع فهو مكابر ودليل على انه ناداه
والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا لا يعقل في لغة العرب لفظ
النداء لغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا وايضا فقد
قال تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وسبحان الله رب العالمين وقال تعالى فلما اتاها نودي
من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان
يا موسى اني انا الله رب العالمين وقال وهل اتاك حديث
موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى وقال فلما اتاها
نودي يا موسى اني انا ربك وفي هذا دليل على انه حينئذ
نودي لم يناد قبل ذلك ولما فيها من معنى الظرف كما في
قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه
لبدا ومثل هذا قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون فانه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان
النداء يقع في ذلك الحين دون غيره وجعل الظرف للنداء
لا لسمع النداء ومثل هذا قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة وقوله واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم وامثال ذلك مما فيه توقيت بعض اقوال
الرب بوقت معين فان الكلابية ومن وافقهم من اصحاب
الائمة الاربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته الكلام
المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته ثم من هؤلاء من قال

انه معنى

انه معنى واحد لان الحروف والاصوات متعاقبة فلا تكون
قديمة ومنهم من قال بل الحروف والاصوات قديمة الاعيان
وانها مترتبة في ذاتها متقارنة في وجودها لم تزل ولا تزال
قائمة بذاته والنداء الذي سمعه موسى قديم ازلي لم يزل
ولا يزال ومنهم من قال بل الحروف قديمة الاعيان بخلاف
الاصوات وكل هؤلاء يقولون انه المتكلم والنداء ليس
الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا
يزال لا انه يكون هناك كلام يتكلم الله بمشيئته وقدرته
بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعا لما كان موجودا
قبل سمعه بمنزلة ما يجعل الاعمى بصيرا لما كان موجودا
قبل رؤيته من غير احداث شيء منفصل عن الاعمى عندهم
لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم الا انه حينئذ
نودي ولهذا يقولون انه يسمع كلامه لخلقه بدل قول الناس
انه يكلم خلقه وهؤلاء يردون على الخلقية الذين يقولون
القرآن مخلوق ويقولون عن انفسهم اهل السنة الموافقون
للسلف الذين قالوا القرآن كلام الله غير مخلوق وليس قولهم
قول السلف لكن قولهم اقرب الى قول السلف من وجه وقول
الخلقية اقرب الى قول السلف من وجه اما كون قولهم اقرب
فلانهم يثبتون لله كلاما قائما بنفس الله وهذا قول السلف
بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه في
غيره فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف واما كون قول

الخلقية اقرب فلأنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته
وقدرته وهذا قول السلف وهؤلاء عندهم لا يقدر الله
على شيء من كلامه وليس كلامه بمشيئته واختياره
بل كلامه عندهم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا صفة
ذات لا صفة فعل والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة
ذات ومذهب السلف انه صفة ذات وفعل معًا فكل
منهما موافق للسلف من وجه دون وجه واختلافهم في كلامه
تعالى شبيه اختلافهم في افعاله تعالى رضاه وغضبه وارادته
وكراهته وحبه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك
فان هؤلاء يقولون هذه كلها الصور مخلوقة بائنة عنه
ترجع الى الثواب والعقاب والاخرون يقولون بل هذه كلها
لصور قديمة الاعيان قائمة بذاته ثم منهم من يجعلها
كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات
ومنهم من يقول بل صفات متعددة الاعيان لكن يقول كل
واحدة واحدة العين قديمة قبل وجود مقتضاها كما قالوا
مثل ذلك في الكلام والله تعالى يقول ذلك بانهم
اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاخبر ان افعالهم
اسخطته وقال تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا
وقال تعالى ادعوني استجب لكم الى امثال ذلك مما يبين انه
سخط على الكفار لما كفروا ورضي عن المؤمنين لما آمنوا ونظير
هذا اختلافهم في مسائل القدر فان المعتزلة يقولون

انه

انه يفعل الحكمة ومقصود وارادة الاحسان الى العباد
لكن لا ينسب لفعله حكمة تعود اليه واولئك يقولون لا
يفعل لحكمة ولا لمقصود اصلا فاولئك اثبتوا حكمة لكن
لا تقوم به وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودًا يتصف
به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصودًا تعود اليه
وكذلك في الكلام اولئك اثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به
وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به ولا يعود حكمة اليه والفر
يقان
يمنعون ان يقوم به حكمة مرادة كما يمنع الفريقان ان يقوم
به كلام وفعل يريده وقول اولئك اقرب الى قول السلف
والفقهاء اذ اثبتوا الحكمة والمصلحة في افعاله واحكامه
واثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته وقول هؤلاء
اقرب الى قول السلف اذ اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد
المخلوق المنفصل عنه الذي لم يقم به اصلا ولا يعود اليه
حكم من شيء لم يقم به فلا يكون متكلم بكلام لم يقم به ولا
يكون حكيما ورحيما بحكمة ورحمة لم تقم به لا يكون عليمًا
بعلم لم يقم به وقديرا بقدرة لم تقم به ولا يكون محبا
راضيًا غضبانا بحب ورضا وغضب لم يقم به فكل من
المعتزلة والاشعرية في مسائل كلام الله وافعال الله
وافقوا السلف والائمة من وجه وخالفوهم من وجه
وليس قول احدهما هو قول السلف دون الاخر لكن الاشعرية
في جنس مسائل الصفات بل وسائر الصفات والقدر

لعلها كارادة

اقرب الى قول السلف والائمة من المعتزلة فان قيل
فقد قال الله تعالى انه لقول رسول كريم وهذا يدل على
ان الرسول احدث الكلام العربي قيل هذا باطل وذلك
ان الله ذكر هذا في موضعين والرسول في احد الموضعين محمد
صلى الله عليه وسلم والرسول في الاية الاخرى جبريل وقال
تعالى في سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وما هو
بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا
ما تذكرون تنزيل من رب العالمين فالرسول هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وقال في سورة التكوير انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين.
فالرسول هنا جبريل فلو كان اضافه الى الرسول لكونه
احدث حروفه او احدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين
فانه ان كان احدهما هو الذي احدثه امتنع ان يكون الآخر
هو الذي احدثه وايضا فانه قال لقول رسول كريم
ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول يستلزم مرسلا
له فدل ذلك على ان الرسول مبلغ له عن مرسله لا انه
انشأ منه شيئا من جهة نفسه وهذا يدل على انه اضافه
الى الرسول لانه بلغه واداه لا لانه انشأ منه شيئا ولا
ابتداه وايضا فان الله تعالى قد كفر من جعله قول البشر
بقوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر
ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا

سحر

سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ومحمد بشر فمن قال انه
قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر
او جني او ملك فمن جعله قولا لاحد من هولاء فقد كفر
ومع هذا فقد قال تعالى انه لقول رسول كريم وما هو
بقول شاعر فجعله قول الرسول البشري مع تكفير من يقول
انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن
مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي
ارسله كما قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره
حتى يسمع كلام الله فالذي بلغه الرسول هو كلام الله
لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض
نفسه على الناس بالموسم ويقول الا رجل يحملني الى قومه
لابلغ كلام ربي فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام
ربي رواه ابو داود وغيره والكلام كلام من قاله
مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى سمع كلام الله
بلا واسطه والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع
موسى سماع مطلق بلا واسطة وسماع الناس سماع مقيد
بواسطة كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب [7] كما كلم موسى وبين التكليم بواسطة
الرسول كما كلم الانبياء بارسال رسول اليهم تكلم بحروفه
ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه
يبلغون كلامه بحركاتهم واصواتهم كما قال النبي صلى الله

٧ او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
ففرق بين التكليم من وراء حجاب [illegible]

عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه
فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا
بصوت الرسول فالكلام هو كلام الرسول بصوت نفسه
واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام
الخالق اولى بذلك ولهذا قال تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقال النبي صلى الله
عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم فجعل الكلام كلام
البارى والصوت الذى يقرؤه به العبد صوت القارئ
واصوات العباد ليست هى عين الصوت الذى ينادى
الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا امثاله
فان الله ليس كمثله شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى
افعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل
قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل
ندائهم ولا صوته مثل اصواتهم فمن قال عن القرآن الذى
يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله او كلام غير الله فهو
ملحد مبتدع ضال ومن قال ان اصوات العباد او
المداد الذى يكتب به القرآن قديم ازلى فهو ملحد مبتدع
ضال بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت فى المصاحف
وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا
منه والانسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة
ويراها فى ماء او مرآة فهذه رؤية مقيدة بالواسطة

وتلك

قوله ليس هو كلام الله اى اصلا او هو مخلوق يدل على كلامه الذى هو معنى قائم بذاته تعالى لا يتنزل بذلك الاشعرية هو ما قاله الاشعرية والقول الحق هو الذى بين اذ لو كان كلامه سبحانه المصحف فلا يخلو من انه يكون قديما او حادثا لا سبيل الى واحد منهما اما الاول فلاستلزامه ان الالفاظ قديمة وهو باطل كما تقرر وايضا يلزم قيام القديم بالحادث وهو باطل ايضا واما الثانى فلانه تقرر ان الكلام صفة من صفاته تعالى ولا يتعلق الحادث بالقديم فبطل اللازم فكذا الملزوم فثبت ان كلامه تعالى قائم بذاته والكلام الذى بايدينا هو المعنى القائم بذاته خلق فينا دلالة عليه ولاينا فهذا الابانات المتقدمة كما يعلم ذلك من له ادنى عقل فتاطره يا اولى الالباب اهـ

وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام
يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع من المبلغ عنه
بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه فى الموضعين
كما ان المقصود بالرؤية هو المرئى فى الموضعين فمن عرف
ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق
زالت عنه الشبهة التى تصيب كثيرا من الناس فى هذا الباب
فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت
العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل
فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ
مخلوقا ان يكون الكلام مخلوقا وطائفة قالت هذا
المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن ليس بمخلوق
فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل فان المخلوق
هو الصوت لا نفس الكلام الذى يسمع من المتكلم
به ومن المبلغ عنه وطائفة قالت هذا كلام الله وكلام
الله غير مخلوق فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا
جهل فانه اذا قيل هذا كلام الله فالمشار اليه الكلام
من حيث هو وهو الثابت اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ
عنه فاذا قيل للمسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموع
من المبلغ عنه لا مسموع منه فهو مسموع بواسطة صوت
العبد وصوت العبد مخلوق واما كلام الله نفسه فهو غير
مخلوق حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها

اى وصوت العبد مخلوق خلقه الله تعالى كلام الله المتجلى وهذا هو القول الحق الموافق للصواب وقول الشيخ رحمه الله تعالى فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام فيه ان الصوت هو نفس الكلام وكونه غيره امر ليس من متصورات العقل تامل

في غير هذا الموضع فصل فان قيل ما منشأ هذا النزاع
والاشتباه والتفرق والاختلاف قيل منشؤه هو الكلام
الذي ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشتبه المشتمل
على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما يخالف
العقل والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق
والباطل وهؤلاء جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق
وباطل وجماعه هو الكلام المخالف للكتاب والسنة واجماع
السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف
ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انهم لما نظروا
في مسئلة حدوث العالم واثبات الصانع استدلت
الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من طوائف اهل الكلام
على ذلك بان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم ان
المستدلين بذلك على حوادث الاجسام قالوا ان الاجسام
لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
ثم تفرقت طرقهم في المقدمة الاولى فتارة يثبتونها بان
الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وتارة
يثبتونها بان الاجسام لا تخلو عن الافتراق والاجتماع
وهما حادثان وتارة يثبتونها بان الاجسام لا تخلو عن
الاكوان الاربعة الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
وهي حادثة وهذه طرق المعتزلة ومن وافقهم على ان
الاجسام قد تخلو عن بعض انواع الاعراض وتارة

يثبتونها

١١

يثبتونها بان الجسم لا يخلو من كل جنس من الاعراض عن
عرض منه ويقولون القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده
ويقولون ان الاعراض يمتنع بقاؤها لان العرض لا يبقى
زمانين وهذه الطريقة هي التي اختارها الامدي
وزيف ما سواها وذكر ان جمهور اصحابه اعتمدوا
عليها وقد وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من اصحاب
الائمة الاربعة كالقاضي ابي يعلى وابي المعالي الجويني وابي
الوليد الباجي وامثالهم واما الهاشمية والكرامية
وغيرهم من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم
ويقولون ان القديم تقوم به الحوادث فهؤلاء قالوا بان
ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامية
وغيرهم موافقة للمعتزلة في هذا الاصل فانهم يقولون
ان الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف الاجسام المحدثة
فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون في السكون
هل هو امر وجودي او عدمي فمن قال انه وجودي قال
الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة
قام به السكون الوجودي وهذا قول من يحتج بتعاقب
الحركة والسكون على حدوث المتصف بذلك ومن قال
انه عدمي لم يلزم من عدم الحركة عن المحل ثبوت سكون وجودي
فمن قال انه يقوم به الحركة او الحوادث بعد ان لم تكن
مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو قول الكرامية وغيرهم

يقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بقيامها سكون وجودى
بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والاشعرية
وغيرهم انه يفعل بعد ان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان
عدم الفعل امر وجودى كذلك الحركة عند هؤلاء وكان
كثير من اهل الكلام يقولون ما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث او ما لا يسبق الحوادث فهو حادث بناء على ان
هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلا بد ان
يقارنه او يكون بعده ما قارن الحادث فهو حادث وما
كان بعده فهو حادث وهذا الكلام مجمل فانه اذا اريد
ما لا يخلو عن الحادث المعين او لا ما يسبق الحادث المعين
فهو حق بلا ريب ولا نزاع فيه وكذلك اذا اريد
بالحادث جملة ما له اول او كان بعد العدم ونحو ذلك
واما اذا اريد بالحوادث الامور التى تكون شيأ بعد شئ
لا الى اول وقيل انه لا يخلو عنها وما لم يخل عنها فهو
حادث لم يكن ذلك ظاهرا ولا بينا بل هذا مقام حار فيه
كثير من الافهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار
المستدلون بقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
يعلمون ان هذا الدليل لا يتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث
لا اول لها فذكروا فى ذلك طرقا قد تكلمنا عليها
فى غير هذا الموضع وهذا الاصل تنازع الناس فيه على
ثلاثة اقوال فقيل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

وبامتناع

وبامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول المعتزلة ومن
تبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل فى ذلك من الفقهاء
وغيرهم وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقا وليس
كل ما قارب حادثا بعد حادث لا الى اول يجب ان يكون
حادثا بل يجوز ان يكون قديما سواء كان واجبا بنفسه او
بغيره وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول
ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفة القائلين بقدم
الافلاك كارسطو ومن تبعه مثل بامسطيوس والاسكندر
الافروديسى وبرقليس والفارابى وابن سينا وامثالهم
واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا
يقولون بقدم الافلاك ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء
متنازعون فى قيام الصفات والحوادث بواجب الوجود
على قولين معروفين لهم واثبت ذلك قول كثير من الاساطين
القدماء وبعض المتاخرين كابى البركات صاحب المعتبر
وغيره كما بسطت اقوالهم فى غير هذا الموضع وقيل بل
ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وهو الذى يسمى
مفعولا ومعلولا ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب
ان يكون حادثا وان كان واجبا بنفسه لم يجب ان يكون
حادثا وهذا قول ائمة اهل الملل واساطين الفلاسفة
وهو قول جماهير اهل الحديث وصاحب هذا القول يقول
ما لا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث

فعل اى مطلقا تفسيره بانى
والقيل الآتى وهو ان كان
المستلزم للحوادث ممكنا
بنفسه وجب ان يكون حادثا
وان كان واجبا بنفسه لم يجب
ان يكون حادثا اهـ

طين

وما لا يخلو عن الحوادث فهو مفعول او معلول او مبتدع او
مصنوع فهو حادث لانه اذا كان مفعولا مستلزما
للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم المعلول لا يكون
قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله
بحيث يكون معه ازليا لا يتاخر عنه وهذا ممتنع فان ما
استلزم الحوادث يمتنع ان يكون فاعله موجبا بذاته يستلزم
معلوله فى الازل فان الحوادث المتعاقبة شيا بعد شئ لا
يكون مجموعها فى الازل ولا يكون شئ منها ازليا بل الازلى
هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب بذاته المستلزم لمعلوله
فى الازل لا يكون معلوله شيا بعد شئ سواء كان صادرا عنه
بواسطة او بغير واسطة فان ما كان واحدا بعد واحد يكون
متعاقبا حادثا شيا بعد شئ فيمتنع ان يكون معلولا
مقارنا لعلته فى الازل بخلاف ما اذا قيل ان المقارن للذات
هو الواجب بذاته الذى يفعل شيا بعد شئ فانه على هذا
التقدير لا يكون فى الازل موجبا بذاته ولا علة تامة لشئ
من العالم فلا يكون معه فى الازل من المخلوقات شئ لكن
فاعليته للمفعولات تكون شيا بعد شئ وكل مفعول يوجد
عند وجود كمال فاعليته اذ المؤثر التام المستلزم لجميع
شروط التاثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو تخلف لم يكن
مؤثرا تاما فوجود الاثر يستلزم وجود المؤثر التام ووجود
المؤثر التام يستلزم وجود الاثر فليس فى الازل مؤثر تام

فليس مع

فليس مع الله شئ من مخلوقاته قديم بقدمه والازل ليس
هو حدا محدودا ولا وقتا معينا فهو بل كل ما يقدره
فالازل لا اول له كما ان الابد لا آخر له وفى الحديث الصحيح
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انت الاول فليس قبلك
شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ فلو قال انه مؤثر
تام فى الازل لشئ من الاشياء لزم ان يكون مقارنا له
دائما وذلك ينافى كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا فى
الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتض تام
لصفة كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة لان المراد
بذلك ان الذات مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبد
امتنع فى المقارن تسريح المفعول سواء سمى علة فاعلا او
خالقا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالاثر شئ من الحوادث
لان كل حادث لا يحدث الا اذا وجد مؤثره التام عند حدوثه
وان كانت ذات المؤثر موجودة قبل ذلك لكن لا بد من كمال
وجود شروط التاثير عند وجود الاثر والا لزم الترجيح
بلا مرجح وتخلف المعلول عن العلة التامة ووجود الممكن
بدون المرجح التام وكل هذا ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر
لشئ من الحوادث فى الازل وامتنع ان يكون مؤثرا فى الازل
فيما يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون اللازم محال
فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما وان قيل
ذاته مقتضية للحادث الثانى بشرط انقضاء الاول قيل

فليس هو مقتضى لشيء واحد دائما فلا يكون معه قديم على
مفعولاته وقيل ايضا هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال
متعاقبة تختلف المفعولات لاجلها فاما اذا قدر انه لا يقوم
بها شيء من الاحوال المتعاقبة بل حالها عند وجود الحادث
كحالها قبله كان امتناع فعله للحوادث المتعاقبة الثانية
اعظم من امتناع فعله لحادث معين فاذا كان الثاني
ممتنعا عندهم فالاول اولى بالامتناع ومتى كان للذات
احوال متعاقبة تقوم بها بطلت كل حجة لهم على قدم شيء من
العالم وامتنع ايضا قدم شيء من العالم اذا كان المفعول لابد
له من فاعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله الا حادثا
وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فصل واذا عرف
الاصل الذي منه تفرع نزاع الناس في مسئلة كلام الله تعالى
فالذين قالوا ما لا يسبق الحوادث فهو حادث تنازعوا في كلام
الله تعالى فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة
المتكلم وقدرته فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت
طائفة والرب لا يقوم به الحوادث فيكون الكلام مخلوقا في غيره
فجعلوا الكلام مخلوقا من المخلوقات ولم يفرقوا بين قال وفعل
وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها الخالق فلا يتصف بما
يخلقه في غيره من الالوان والاصوات والروائح والحركة
والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه في
غيره من الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق

الجمادات

الجمادات كلامه ومن علم انه خالق كلام العباد وافعالهم
يلزمه ان يقول كل كلام في الوجود فهو كلامه كما قال بعض
الاتحادية وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه *
وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان
هؤلاء يقولون انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم
ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا واما المعتزلة فلا يقولون
ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب القول بذلك
وقالت طائفة بل الكلام لابد ان يقوم بالمتكلم ويمتنع
ان لا يكون كلامه الا مخلوقا في غيره وهو متكلم بمشيئته
وقدرته فيكون كلامه حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث
لا اول لها وهذا قول الكرامية وغيرهم ثم من هؤلاء من
يقول كلامه كله حادث لا محدث ومنهم من يقول
هو حادث ومحدث وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون
بامتناع حوادث لا اول لها مطلقا الكلام لازم لذات
الرب كلزوم الحياة ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته
بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بمشيئته وقدرته
لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او
قائما بذات الرب فيلزم قيام الحوادث وذلك يستلزم
تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده
قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذ التفريع على هذا الاصل
ثم ان هؤلاء لما قالوا بقدم عين الكلام تنازعوا فقالت

دث

ان التفريع على هذا الاصل
فغلطهم في الاصل وهو غير
هنا فليحرر
ظاهر اه

طائفة القديم لا يكون حروفا ولا اصواتا لان الصوت
يستحيل بقاؤه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاؤه
امتنع قدم عينه بطريق الاولى والاحرى فيمتنع قدم شيء
من الاصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة
لان تلك لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة والقديم
لا يكون مسبوقا بغيره فلو كانت البسيم من بسم الله قديمة
مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا
ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تعدده
لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا
بلا مرجح وان كان لا يتناهى لزم وجود اعداد لا نهاية لها
في آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا
هو الامر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والقرآن وهذا
اصل قول الكلابية والاشعرية وقالت طائفة من
اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة
الاعيان لم تزل ولا تزال وهي مترتبة في ذاتها لا في وجودها
كالحروف الموجودة في المصحف وليس باصوات قديمة ومنهم
من قال بل هو ايضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف
المنطوقة التي لا توجد الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة
التي توجد في آن واحد كما يفرق بين الاصوات والمداد فان
الاصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى واذا كان
الصوت لا يبقى امتنع ان يكون الصوت المعين قديما لان ما

وجب قدمه لزم بقاؤه وامتنع عدمه والحروف المكتوبة
قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد وما يقدر تقدير
المداد كالشكل المصنوع في حجر وورق بازالة بعض اجزائه
وقد يراد بالحروف نفس المداد واما الحروف المنطوقة
فقد يراد بها ايضا الاصوات المقطعة المؤلفة وقد يراد
بها حدود الاصوات واطرافها كما يراد بالحرف في الجسم حده
ومنتهاه فيقال حرف الرغيف وحرف الجبل ووجد منه
قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف وقد يراد بالحروف
الحروف الخالية وهو ما يتشكل في باطن الانسان من الكلام
المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به وقد تنازع الناس هل يمكن
وجود حروف بدون اصوات في الحي الناطق على قولين
لهم وهذا تنازع هذه الطائفة القائلة بقدم اعيان الحروف
هل تكون قديمة بدون اصوات قديمة ام لا بد من اصوات
قديمة لم تزل ولا تزال ثم القائلون بقدم الاصوات
المعينة تنازعوا في المسموع من القارئ هل يسمع منه
الصوت القديم فقيل المسموع هو الصوت القديم وقيل
بل المسموع صوتان احدهما القديم والاخر المحدث وقيل
بل الصوت القديم غير المسموع من العبد وتنازعوا في القرآن
هل يقال انه حال في المصحف والصدور ام لا يقال ذلك
على قولين فقيل هو ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل
بل القرآن حال في الصدور والمصحف فهؤلاء الخلقية والحادثية

٧ لا بد منه فوجود القرآن فيه والقديم
وما زاد على ذلك هو المحدث صح

والاتحادية والاقترانية اصل قولهم ان ما لا يسبق الحوادث
فهو حادث مطلقا ومن قال بهذا الاصل يلزمه بعض هذه
الاقوال او ما يشبه ذلك فان من الناس من يجعله حادثا
يريد انه كان بعد ان لم يكن ويجعل الحادث ارادات
وتصورات الحروف واصوات والراوى غيره فيكون الى
هذا القول فانه اما ان يجعل كلامه تعالى حادثا او قديما واذا
كان حادثا فاما ان يكون حادثا فى غيره واما ان يكون
المعنى فقط او اللفظ او كلاهما فان كان القديم هو المعنى فقط
لزمه ان لا يكون الكلام العربى كلام الله ثم الكلام فى ذلك
المعنى قد عرف واما قدم اللفظ فهذا لم يقل به احد لكن
من الناس من يقول ان الكلام القديم هو اللفظ فاما
معناه فليس هو داخلا فى مسمى الكلام بل هو العلم والارادة
وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا فى مسمى الكلام وهذا
يقول ان الكلام القديم هو اللفظ فقط فاما الحروف اما
الحروف المؤلفة واما الحروف والاصوات لكنه يقول ان
معناه قديم واما الفريق الثانى الذين قالوا بجواز حوادث
لا اول لها مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز ان
تعتقب عليه الحوادث مطلقا كان ممكنا لا واجبا بنفسه
فهؤلاء هم القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم هذه
الافلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة ازلية
لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا

انهما

انهما صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته واما
ارسطو واتباعه فانما قالوا ان لها علة غائية تتحرك
للتشبه بها فهى تحركها كما يحرك المعشوق عاشقه ولم يثبتوا
لها مبتدعا ولا موجبا بذاته وانما اثبت واجب الوجود بطريق يق
الوجود كابن سينا وامثاله وحقيقة قول هؤلاء وجود
للحوادث بلا محدث اصلا اما على قول من جعل الاول
علة غائية للحركة فظاهر انه لا يلزم من ذلك ان يكون هو
فاعلا لها فقولهم فى حركات الافلاك نظير قول القدرية
فى حركة الحيوان فكل من الطائفتين قد تناقض قولهم
فان هؤلاء يقولون بان فعل الحيوان صادر عن غيره لكون
القدرة والداعى مستلزمان وجود الفعل والقدرة والداعى عي
كلاهما من غير العبد فيقال لهم فقولوا هكذا حركة
الفلك وقدرته داعيه انه يجب ان يكونا صادرين عن غيره
وحينئذ فيكون الواجب بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث
شيئا بعد شىء وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول
هو الذى يقوله ابن سينا واتباعه وهو باطل ايضا لان الموجب
بذاته القديم الذى يقارنه موجبه ومقتضاه يمتنع ان يصدر
عنه حادث بواسطة او لا بواسطة فان صدور الحوادث عن
العلة التامة الازلية ممتنع لذاته وان قالوا متوسطة اى
حركة الفلك قيل لهم فالكلام انما هو فى حدوث الحركة فان
الحركة الحادثة شيئا بعد شىء يمتنع ان يكون المقتضى لها علة

تامة ازلية مستلزمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين
اذ القول بمقارنة المعلول لعلته في الازل ووجوده معها
يناقض ان يتخلف المعلول او شيء من المعلول عن الازل
بل يمتنع ان يكون المقتضي لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها
شيء من الصفات والاحوال المقتضية لحدوث الحوادث
المتعاقبة المختلفة بل يمتنع ان يكون المقتضي لها ذاتا موصوفة
لا يقوم بها شيء من الاحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة
فان التجدد والتعدد الموجود في المعلولات يمتنع صدوره
عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة
قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا محدث لها وهؤلاء
يقولون كلام الله ما يفيض على النفوس الصافية كما ان
ملائكة الله عندهم ما تشكل فيها من الصور النورانية فلا
يثبتون له كلاما خارجا عما في نفوس البشر ولا ملائكة
خارجة عما في نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية
التسعة مع ان اكثرهم يقولون انها اعراض وقد بين في
غير هذا الموضع انما يثبتونه من المجردات العقلية التي هي
العقول والنفوس والمواد والصور انما وجوده في الاذهان
لا في الاعيان واما الصنف الثالث الذين فرقوا بين
الواجب والممكن والخالق والمخلوق والغني الذي لا
يفتقر الى غيره والفقير الذي لا قوام له الا بالغني فقالوا
انما قارن الحوادث من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم

يكن

١٧

يكن وهو مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع ان يكون فيما
هو ممكن مربوب شيء فقير قديم فضلا عن ان يقارنه
حوادث لا اول لها ولهذا كانت حركات الفلك دليلا
على حدوثه كما تقدم البينة على ذلك واما الرب تعالى اذا
قيل لم يزل متكلما اذا شاء او لم يزل فاعلا لما يشاء لم
يكن دوام كونه متكلما بمشيئته وقدرته ودوام كونه
فاعلا بمشيئته وقدرته ممتنعا بل هذا هو الواجب لان
الكلام صفة كمال لا نقص فيه فالرب احق بان يتصف
بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت
للمخلوق فالخالق اولى به لان القديم الواجب الخالق احق
بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال
ثبت للمخلوق فانما هو من الخالق وما جاز اتصافه به
من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعا وهو
محال بخلاف الفرض واما ممكنا فيتوقف ثبوته له على غيره
والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطي الكمال احق
بالكمال فيلزم ان يكون غيره اكمل لو كان غيره معطيا له
الكمال وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق
لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلما على غيره فيجب
ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم
بمشيئته وقدرته اكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرة
ومشيئته والذي لم يزل متكلما اذا شاء اكمل ممن صار الكلام

تر

يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له وحينئذ فكلامه قديم
مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته **وان قيل** انه ينادى ويتكلم
بصوت ولا يلزم من ذلك صوت معين واذا كان قد تكلم
بالقرآن والتوراة والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان
يتكلم بالباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق
بين النوع والعين **وهذا** الفرق ثابت فى الكلام والارادة
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات **وبه ينحل** الاشكالات
الواردة على وحدة هذه الصفات وتعددها وقدمها وحدوثها
وكذلك **تزول به** الاشكالات الواردة فى افعال الرب وقدمها
وحدوثها وحدوث العالم واذا قيل ان حروف المعجم قديمة
بمعنى النوع كان ذلك ممكنا بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ
الذى نطق به زيد وعمرو قديم فان هذا مكابرة للحس
والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجود نوعها
واما نفس الصوت المعين الذى قام به والتقطيع والتأليف
المعين لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجودا قبله
والمنقول عن الامام احمد وغيره من ائمة السنة مطابق لهذا
القول ولهذا انكروا على من قال لما خلق الحروف سجدت له
الا الالف فقالت لا اسجد حتى اؤمر مع ان هذه الحكاية
نقلت لاحمد **عن السرى السقطى** وهو تلقاها عن ابى بكر
ابن خنيس العابد ولم يكن قصد اولئك الشيوخ بها الا بيان
ان العبد الذى يتوقف فعله على الامر والشرع هو اكمل من العبد

الذى

الذى يعبد الله بغير شرع فان كثيرا من العباد يعبدون
الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا مامورين به فقصد
اولئك الشيوخ ان من عبد الله بالامر ولم يفعل شيئا حتى يؤمر
به فهو افضل ممن عبده بما لم يؤمر به **وذكروا هذه** الحكاية
الاسرائيليه شاهدا لذلك مع ان هذه لا استناد لها
ولا يثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق
الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن بذكرها باس وقصدوا
بذلك الحروف المكتوبة اذ الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك
مع ان هذا امر اصطلاحى خط غير العربى لا يماثل خط العربى
ولم يكن قصد اولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة
التى هى مبانى اسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بائنة
عن الله بل هذا شئ لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة
لا يقال فيها انها منتصبة ولا ساجدة **فمن احتج** بهذا فى
قولهم على انهم يقولون ان الله لا يتكلم بالقرآن العربى ولا بالتوراة
العبرية فقالهم فقد قال عنهم ما لم يقولوا **واما الامام**
احمد انكر اطلاق هذا القول وما افهم منه عند الاطلاق
وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة فهذا جهمى يسلك طريقا
الى البدعة فانه ان قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان
القرآن مخلوقا وكما قال **ولا ريب** ان من جعل نوع الحروف مخلوقا
بائنا عن الله كائنا بعد ان لم يكن لزم ان يكون كلام الله العربى
والعبرى ونحوهما مخلوقا وامتنع ان يكون الله تكلم بكلامه

الذى تكلم به انزله على عباده ولا يكون شيء من ذلك
كلامه فطريقة الامام احمد وغيره من السلف مطابقة
للقول الثالث الموافق لصريح المعقول وصحيح المنقول **وقال**
الشيخ الامام ابو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في
كتابه الذى سماه الفصول في الاصول سمعت الامام ابا منصور
محمد بن احمد يقول **سمعت** الامام ابا بكر عبد الله بن احمد يقول
سمعت الشيخ ابا حامد الاسفرائيني يقول مذهبي ومذهب
الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق
ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام
مسموعا من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل
والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى
نتلوه نحن مقروء بالسنتنا وفيما بين الدفتين وما في
صدورنا مسموعا ومكتوبا ومقروا ومحفوظا وكل حرف
منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق
فهو كافر لعنة الله والملائكة والناس اجمعين والكلام على لعائن
هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع **وذكر**
ما يتعلق بهذا الباب من سائر الصفات كالعلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر والكلام في تعددا لصفة واتحادها
وقدمها وحدوثها وقدم النوع دون الاعيان او اثبات صفة
كلية عمومية متناولة للاعيان مع عدد كل معين من الاعيان
او غير ذلك مما قيل في هذا الباب فان هذه المواضع مشكلة

ومن مجازات

١٢٠

ومن مجازات العقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من اذكياء
الناس ونظارهم **والله يهدى** من يشاء الى صراط مستقيم
وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تم
الكتاب

م